

البكاء من خشية الله أسبابه ، وموانعه ، وطرق تحصيله

جمعه وأعدّه :
أبو طارق
إحسان بن محمد بن عايش العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وبعد

البكاء فطره بشريه كما ذكر أهل التفسير ، فقد قال القرطبي في تفسير قول الله تعالى : { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى } [النجم / 43] : " أي : قضى أسباب الضحك والبكاء ، وقال عطاء بن أبي مسلم : يعني : أفرح وأحزن ؛ لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء ... " تفسير القرطبي " (17 / 116) .

وبما أن البكاء فعل غريزي لا يملك الإنسان دفعه غالباً فإنه مباح بشرط ألا يصاحبه ما يدل على التسيخ على التسيخ من قضاء الله وقدره ، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وأشار إلى لسانه - أَوْ يَرْحُمُ " البخاري (1242) ومسلم (924) .

أنواع البكاء وأصدقها

قال يزيد بن ميسرة رحمه الله : " البكاء من سبعة أشياء : البكاء من الفرح ، والبكاء من الحزن ، والفرح ، والرياء ، والوجع ، والشكر ، وبكاء من خشية الله تعالى ، فذلك الذي تُطْفِئُ الدمعة منها أمثال البحور من النار ! " .

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه " زاد المعاد " عشرة أنواع للبكاء نوردها كما ذكرها .

*بكاء الخوف والخشية .

*بكاء الرحمة والرقّة .

*بكاء المحبة والشوق .

*بكاء الفرح والسرور .

*بكاء الجزع من ورود الألم وعدم احتمالته .

*بكاء الحزن وفرقه عن بكاء الخوف ، أن الأول " الحزن " :
يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب وبكاء
الخوف : يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك ، والفرق بين
بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن أن دمعة السرور باردة
والقلب فرحان ، ودمعة الحزن : حارة والقلب حزين ، ولهذا
يقال لما يُفرح به هو " قرّة عين " وأقرّ به عينه ، ولما يُحزن :
هو سخينة العين ، وأسخن الله به عينه .

*بكاء الخور والضعف .

*بكاء النفاق وهو : أن تدمع العين والقلب قاس .

*البكاء المستعار والمستأجر عليه ، كبكاء النائحة بالأجرة فإنها
كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تبّيع
عبرتها وتبكي شجو غيرها .

*بكاء الموافقة : فهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر عليهم
فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون يراهم يبكون فيبكي .
" زاد المعاد " (1 / 184 ، 185) .

والبكاء من خشية الله تعالى أصدق بكاء تردد في النفوس ،

وأقوى مترجم عن القلوب الوجلة الخائفة .

البكاء الكاذب

البكاء قد يكون دليلاً على صدق الباكي ، وقد لا يكون ، وقد ذكر القرآن الكريم قصة إخوة يوسف عليه السلام وكيف تباكوا على أخيهم كذباً فقال تعالى : { وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ } [يوسف / 16] ، وعلى هذا فإن بكاء أحد المتخاصمين في القضاء ليس دليلاً يُعتدُّ به .

بكاء الإثم !!

البكاء على موت كافر أو طاغية أو فاسد ، والبكاء العاشقين ، وأهل الغرام بالأغاني .

فما في الأرض أشقى من محب

وإن وجد

الهوى حلو المذاق

تراه باكياً في كل حين

مخافة فرقة أو لاشتياق

فتسخن عينه عند التلاقي

وتسخن عينه عند الفراق

ويبكي إن نأوا شوقاً إليهم

ويبكي إن دنوا خوف

الفراق

فضل البكاء من خشية الله

قال تعالى : { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنْ لِلَّهِ عَلَيْنَا وَقَاتَا عَذَابَ السَّمُومِ . إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ } [الطور / 25 - 28]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع " . رواه الترمذي (1633) .

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَبَعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ

فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ
اللَّهِ تَعَالَى ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ
، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ
وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا
حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا
فَقَاصَتْ عَيْنَاهُ " .
رواه البخاري (629) ومسلم (1031) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عينان لا تمسهما
النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل
الله " . رواه الترمذي (1639) ، وصححه الشيخ الألباني في "
صحيح الترمذي " (1338) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ليس شيء أحب إلى الله
من قطرتين وأثرين : قطرة من دموع خشية الله ، وقطرة دم
تهراق في سبيل الله ، وأما الأثران : فأثر في سبيل الله ، وأثر
في فريضة من فرائض الله " رواه الترمذي (1669) ،
وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترمذي " (1363) .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " لأن أدمع من
خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار ! " .

وقال كعب الأحبار : لأن أبكى من خشية الله فتسيل دموعي
على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بوزني ذهباً .

حال الملائكة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لجبريل : " مالي لا أرى ميكائيل ضاحكاً

قط ؟ " قال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار .
رواه أحمد (12930) ، وقال المناوي في " فيض القدير " (5 / 452) : ... قال الزين العراقي إسناده جيد ، وحسنه الشيخ
الألباني في " صحيح الترغيب " (3664) . [تنبيه : هذا
الحديث من الأحاديث التي تراجع الشيخ الألباني من تضعيفه
إلى تحسينه] .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : " مررتُ ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل
كالجلس البالي من خشية الله تعالى " .
رواه الطبراني في " الأوسط " (5 / 64) وحسنه الشيخ
الألباني في " صحيح الجامع " (5864) .

بكاء الأنبياء

قال تعالى : { أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من
ذريه آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذريه إبراهيم وإسرائيل
وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً
وبكياً } [مريم / 58] .

بكاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال لي النبي
صلى الله عليه وسلم : " اقرأ علي القرآن " قلت : يا رسول
الله ، اقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ ، قال : " إني أحب أن أسمعه
من غيري " فقرأت عليه سورة النساء ، حتى جئت إلى هذه
الآية : { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدياً } [النساء / 40] قال " حسبك الآن " قالت إلي ،
فإدا عيناه تدر فان . البخاري (4763) ومسلم (800) .

قال ابن بطال :

وإنما بكى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عند هذا لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة ، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به ، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف ، وأهواله ، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلَجُوفِهِ أَزِيْرُ كَازِيْرُ الْمَرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ . رواه أحمد (15877) ، والنسائي (1214) وهذا لفظه ، وأبو داود (904) بلفظ " ... كَازِيْرُ الرَحَى " ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب " (544) .
المِرْجَل : القِدْر الذي يغلي فيه الماء .

عن عبيد بن عمير رحمه الله : " أنه قال لعائشة - رضي الله عنها - : أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : فسكتت ثم قالت : لما كانت ليلة من الليالي .

قال : " يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي " .

قلت : والله إنني أحب قُربك ، وأحب ما يسرك .

قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي .

قالت : فم يزل يبكي ، حتى بل جِجرهُ !

قالت : وكان جالسا فلم يزل يبكي صلى الله عليه وسلم حتى بل لحيته !

قالت : ثم بكى حتى بل الأرض ! فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما

راه يبكي ، قال : يا رسول الله تبكي ، وقد غفر الله لك ما تقدم

من ذنبك وما تأخر ؟! قال : " أفلا أكون عبداً شكورا ؟! لقد

أنزلت علي الليلة آية ، ويل لم قرأها ولم يتفكر فيها ! { إِنَّ فِي

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... } الآية كلها [آل عمران / 190] " .

رواه ابن حبان (2 / 386) وغيره ، وصححه الشيخ الألباني في

" صحيح الترغيب " (1468) ، وفي " الصحيحة " (68) .

عن أنس رضي الله عنه قال : شهدنا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر فرأيت عينيه تدمعان ، فقال : هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة ؟ فقال أبو طلحة : أنا ، قال : فانزل في قبرها ، فنزل في قبرها فقبرها . رواه البخاري (1225) .
وبكى شفقة على أمته .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم { رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني } الآية [إبراهيم / 36] وقال عيسى عليه السلام { إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم } [المائدة / 118] فرفع يديه وقال - اللهم أمتي أمتي - وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال - وهو أعلم - فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك . رواه مسلم (202) .
عن عبد الله بن عمرو بن العاص - أيضاً - قال : انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكد يركع ثم ركع فلم يكد يرفع ثم رفع فلم يكد يسجد ثم سجد فلم يكد يرفع ثم رفع وفعل في الركعة الأخرى مثل ذلك ثم نفخ في آخر سجوده فقال : أف أف ، ثم قال : رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم ؟ ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون ؟ ونحن نستغفرك ، فلما صلى ركعتين انجلت الشمس فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا انكسفا فافزعوا إلى ذكر الله تعالى . رواه أبو داود

(1194) وصححه الشيخ الألباني في " صحيح أبي داود " (1055) لكن بذكر الركوع مرتين كما في الصحيحين .

بكاء الصحابة

عن أنس رضي الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " ، فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين ، وفي رواية : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحابه شيء فخطب فقال : " عرضت عليّ الجنة والنار فلم أر كاليوم من الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " فما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم خنين " . رواه البخاري (4345) ، والرواية الثانية لمسلم (2359) . ، والخنين : هو البكاء مع غنة .

قال ابن حجر :

المراد بالعلم هنا : ما يتعلّق بعظمة الله وانتقامه ممّن يعصيه ، والأهوال التي تقع عند النزع والموت وفي القبر ويوم القيامة .

وعن أبي سفيان عن أشياخه قال : قدم سعد على سلمان يعوده ، قال : فبكى ، فقال سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض وترد عليه الحوض وتلقى أصحابك ، فقال : ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهداً قال : " لتكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب " وحولي هذه الأساود قال وإنما حوله إجانة وجفنة ومطهرة فقال يا سعد اذكر الله عند همك إذا هممت وعند يديك إذا قسمت وعند حكّمك إذا حكمت .

رواه الحاكم (4 / 353) وقال صحيح الإسناد - قال المنذري

- : كذا قال .

قوله " وهذه الأساود حولي " قال أبو عبيد : أراد الشخصوص من المتاع وكل شخص سواد من إنسان أو متاع أو غيره ، وحسنه الألباني في " صحيح الترغيب " (3224) ، وقال معلقاً تحت هذا الحديث : بُلَغَة : بضم الموحدة ، ما يُتَبَلَّغُ به من العيش ، إجانة : شيء تغسل فيه الثياب ، والجفنة : كالقصة ، والمطهرة : إدواة الماء ، ذكرها الجوهرى بفتح الميم وكسرها ثم قال : والفتح أعلى ...

وعن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال : كان عثمان إذا وقف على قبر ؛ بكى حتى يبلى لحيته ! فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا ؟! فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه ، فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه ؛ فما بعده أشد منه ! " قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما رأيت منظرأ قط إلا القبر أفضع منه ! " رواه أحمد (456) ، والترمذي (2308) ، وابن ماجه (4267) ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح الترمذي " للألباني (1878) .

وبكى معاذ رضي الله عنه بكاء شديدا فقيل له ما يبكيك ؟ قال : لأن الله عز وجل قبض قبضتين واحدة في الجنة والأخرى في النار ، فأنا لا أدري من أي الفريقين أكون .

وبكى الحسن فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أخاف أن يطرحني الله غداً في النار ولا يبالي .

وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية : { أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات } [الجاثية / 21] فجعل يرددّها إلى الصباح ويبكي .

وكان حذيفة رضي الله عنه يبكي بكاءً شديداً ، فقيل له : ما بكأؤك ؟ فقال : لا أدري على ما أقدم ، أعلى رضا أم على سخط ؟ .

عن سعد عن أبيه قال : أتى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يوماً بطعامه فقال : قتل مصعب بن عمير وكان خيراً مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة ، وقاتل حمزة - أو رجل آخر - خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة ، لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طبيباتنا في حياتنا الدنيا ، ثم جعل يبكي . رواه البخاري (1215) .

وقال سعد بن الأخرم : كنت أمشي مع ابن مسعود فمّر بالحدّادين و قد أخرجوا حديداً من النار فقام ينظر إلى الحديد المذاب ويبكي . وما هذا البكاء إلا لعلمهم بأن الأمر جد والحساب قادم ولا يغادر صغيره ولا كبيره إلا أحصاها .

وخطب **أبو موسى الأشعري رضي الله عنه** مرة الناس بالبصرة : فذكر في خطبته النار ، فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر ! وبكى الناس يومئذ بكاءً شديداً .

وقرأ ابن عمر رضي الله عنهما : { وَيَلُّ لِّلْمُطَفِّفِينَ } [سورة المطففين : 1] فلما بلغ : { يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [سورة المطففين : 6] بكى حتى خرّ وامتنع عن قراءة ما بعده .

عن نافع قال : كان ابن عمر إذا قرأ { ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله } [الحديد / 16] بكى حتى يغلبه البكاء .

وقوله تعالى : { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ } [الحديد / 16] :

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين .
رواه مسلم (3027) .

وقال مسروق رحمه الله : " قرأت على عائشة هذه الآيات : { فَمَنْ لَّهُ عَلِيًّا وَوَقَاتَا عَذَابَ السَّمُومِ } [الطور / 27] فبكت ، وقالت " رَبِّ مَنْ وَقِنِي عَذَابَ السَّمُومِ " .

بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه . ف قيل له : ما يبكيك ؟! فقال : " أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بُعد سفري ، وقلة زادي ، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي !! " .

كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته فقال ما يبكيك فقالت رأيتك تبكي فبكيك قال إني ذكرت قول الله عز وجل { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا } [مريم / 71] فلا أدري أنجو منه أم لا .

اشتكى سلمان الفارسي فعاده سعد بن أبي وقاص فرآه يبكي فقال له سعد : ما يبكيك يا أخي أليس قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أليس ؟ أليس ؟ قال سلمان : ما أبكي واحدة من اثنتين ما أبكي ضناً للدنيا ولا كراهية للآخرة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليّ عهداً فما أراني إلا قد تعديت ! قال : وما عهد إليك ؟ قال : عهد إليّ أنه يكفي

أحدكم مثل زاد الراكب ولا أراني إلا قد تعديت ، وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكمك إذا حكمت ، وعند قسمك إذا قسمت ، وعند همك إذا هممت . قال ثابت : فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهما من نفقة كانت عنده . رواه ابن ماجه (4104) ، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح ابن ماجه " (3312) ، " صحيح الترغيب " (3225) .

عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرئك القرآن قال أالله سمانى لك ؟ قال : نعم ، قال : وقد ذكرت عند رب العالمين ؟ قال : نعم ، فذرفت عيناه - وفي رواية : فجعل أبى يبكى - . رواه البخاري (4677) ، ومسلم (799) .

بكاء السلف الصالح

وكان بعض الصالحين يبكى ليلاً ونهاراً ، ف قيل له في ذلك ، فقال : أخاف أن الله تعالى رانى على معصية ، فيقول : مُرَّ عنى فإنى غضبان عليك .

وهذا إسماعيل بن زكريا يروي حال حبيب بن محمد - وكان جارا له - يقول : كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه وإذا أصبحت سمعت بكاءه ، فأتيت أهله ، فقلت ما شأنه ؟ يبكى إذا أمسى ، ويبكى إذا أصبح ؟! قال : فقالت لي : يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح وإذا أصبح أن لا يمسي .

وحين عوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه ، وقيل له : لو كانت النار خُلقت لك ما زدت على هذا ؟! قال : وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن والإنس ؟! .

وحين سئل عطاء السليمي : ما هذا الحزن قال : ويحك ،

الموت في عنقي ، والقبر بيتي ، وفي القيامة موقفي وعلى جسر جهنم طريقي لا أدري ما يُصنع بي .

وكان فضالة بن صيفي كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته ما شأنه ؟ قالت : زعم أنه يريد سفراً بعيداً وماله زاد .

وانتبه الحسن ليلة فبكي ، فضج أهل الدار بالبكاء ، فسألوه عن حاله فقال : ذكرت ذنباً لي فبكيت .

وحدث من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة : أن رجلاً قرأ عنده : { وَإِذَا الْقُورَاءُ مِنْهَا مَكَانًا صَيِّقًا مُقَرَّرِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } [الفرقان : 13] فبكى حتى غلبه البكاء ، وعلا نحيجه ! فقام من مجلسه ، فدخل بيته ، وتفرَّق الناس .

وقال خالد بن الصقر السدوسي : كان أبي خاصاً لسفيان الثوري ، قال أبي : فاستأذنت على سفيان في نحر الظهر ، فأذنت لي امرأة ، فدخلت عليه وهو يقول : { أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ } [سورة الزخرف : 80] ثم يقول : بلى يا ربّ ! بلى يا ربّ ! وينتحب ، وينظر إلى سقف البيت ودموعه تسيل ، فمكثت جالساً كم شاء الله ، ثم أقبل إليّ ، فجلس معي . فقال : منذ كم أنت ها هنا ! ما شعرت بمكانك !

بكاء المعاصرين

عندما بكى الشيخ ابن باز

دموع سماحة الوالد ليست ملكاً له ، فعينه تغلبه كثيراً عندما تقرأ عليه آية من كتاب الله ، أو يسمع حادثة من حوادث السيرة النبوية أو يحكى له موقف مؤثر من الماضي أو الحاضر ، وها هم طلابه يتحدثون عن هذا الموضوع .

فقد سألنا أحد طلاب الشيخ عن أبرز المواطن التي تغلب الشيخ فيها دموعه فيبكي فأجاب :
شيخنا قريب الدمعة ، يبكي كثيراً حتى إن بكاءه يصل إلى حد الجياش الشديد ، فهو يبكي عند ذكر الوعد والوعيد ، ويبكي عند حصول بعض المصائب لبعض المسلمين ، ويبكي عند حصول بعض الغرائب في الدين التي هي من أعظم المصائب ، ويبكي عند ذكر السلف الصالح وأحوالهم في الزهد والتقشف ، ويبكي حين تذكر شيوخه وإخوانه الذين ماتوا قبله ، أو حين تحل بهم أقدار الله .

قلب رقيق

ويكمل الحديث أحد الطلاب المذنبين يحضرون دروس سماحة الشيخ منذ عام 1399هـ فيقول :
الشيخ حفظه الله يملك قلباً رقيقاً متأثراً بكل ما يسمعه من الآيات والأحاديث النبوية وكذا سيرة الصحابة رضي الله عنهم ، فكم من آية من كتاب الله وقف الشيخ عندها متأثراً باكياً لما فيها من الوعيد وكذا ما أعده الله من النعيم ، وكم حديث أثار أشجان الشيخ فبكى متأثراً مما ورد فيه كقصة الإفك مثلاً وكذا توبة كعب بن مالك وغيرها من الأحاديث .
وأذكر مرة أنه قرأ على الشيخ حديث : " إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الملوك ، لا مالك إلا الله " - البخاري (5852) ، ومسلم (3143) - قال سفيان : مثل شاهان شاه ، فكان القارئ وهو أحد تلاميذه قرأها (شاه شاه) فقال الشيخ مصححاً له : (شاهان شاه) هكذا قرأتها على سماحة شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ، فما كان من الشيخ إلا أن دمعت عيناه وغلبه البكاء لأنه تذكر شيخه سماحة العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - فكان هذا موقفاً لا أنساه ، ودمعة على وجنتي شيخنا لا أنساها أبداً .

ويبدو أن لمواقف السيرة النبوية أثراً عظيماً في قلب شيخنا ابن باز حيث إنه كثيراً ما يتأثر عند سماعه بعض أخبارها .
وها هو الأخ عبد الله الروقي يعد لنا بعض هذه المواطن :
أذكر منها : بكى عند قصة تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه عن غزوة تبوك ، وبكى عند حديث الإفك وقصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في ذلك ، وبكى عند حديث جرير بن عبد الله البجلي الذي رواه أحمد (ساعاتي ج 1 / 75 - 77) -
ترقيم إحياء التراث (18677) - في قصة الأعرابي الذي أسلم ثم وقصته دابته فقال عليه الصلاة والسلام : " عمل قليلاً وأجر كثيراً " ، وبكى عند بيعة الأنصار رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الثانية ، كما تأثر كثيراً عندما قرئ عليه من " زاد المعاد " باب فتح مكة ، وكان يكثر فيه من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما يطول .

واستمع لبكاء الشيخ عند ذكره لشيخه الشيخ محمد بن إبراهيم -
رحمهما الله - :

http://www.sohari.com/nawader_v/monawa3/ben-baz-ben-braheem.ram

وهنا - أيضاً - :

<http://mypage.ayna.com/an4/es.rm>

حادثة الإفك وقول أبي بكر

ويقول الأخ فهد السنيدي : إنه ما رأى الشيخ متأثراً كما رآه عندما قرأت عليه حادثة الإفك إذ تأثر الشيخ وبكى طويلاً .
استمع لبكاء الشيخ عند هذا الموضوع :

<http://saaid.net/Doat/ehsan/afk.rm>

وقد غلبه البكاء مرة عندما قرئت عليه مقولة أبي بكر رضي الله

عنه عندما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " رواه البخاري (3467) .

عندما بكى الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -

قال أحد تلامذة الشيخ :

عبد الرحمن بن داود من خيرة طلاب شيخنا وأحاسنهم أخلاقاً من يمن الإيمان والحكمة له في قلوب الجميع محبة ومكانة ، حصل له حادث توفي على أثره وهو في طريقه لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حزن الجميع للنبا وسلمنا لقضاء الله وقدره ووضعت الجنازة بعد صلاة المغرب ليتقدم شيخنا - رحمه الله - ويصلي عليه ، ثم تُحمل الجنازة إلى المقبرة .

وفجأة بعد الصلاة افتقدنا الشيخ رحمه الله فقال البعض : لعله تبع الجنازة ، وقال آخرون : لعل الشيخ صائم فذهب للإفطار - كما هي عادته - وسيعود بعد ربع ساعة ، أما البعض فقد رأوا شيخنا عندما نزل بعد الصلاة إلى قبو المسجد ، فجلسوا حول كرسي الشيخ في انتظار صعوده للدرس اليومي .

ثم قام أحد الأخوة من طلبة الشيخ المعروفين - ممن لم ير الشيخ - فنزل إلى القبور يثما يعود الشيخ ، وفجأة وهو ينزل إذ بالشيخ - رحمه الله - يصعد من القبو وهو يمسح الدموع عن وجهه ، وقد ظهر على وجهه التأثر الشديد والبكاء ، هنا ألقى صاحبنا على شيخنا السلام ثم صعد ، أما الشيخ فقد كفكف دمه وصعد إلى مكان المدرس وجلس على كرسيه والجميع حوله ثم ترحم على أخينا - عبد الرحمن - وذكره بخير ، ثم استمر في درسه وكان شيئاً لم يكن .

ماذا نقول؟! ثبات وقوة في رقة وإيمان .

رحم الله عبد الرحمن بن داود ، ورحم الله شيخنا فقد لحق المعلم بالطالب ونحن على الأثر .

عندما بكى الشيخ الألباني - رحمه الله -

والشيخ رحمه الله - على خلاف ما يظن الكثيرون - رقيق القلب ، غزير الدمع ، فهو لا يُحدِّث بشيء فيه ما يبكي إلا وأجهش في البكاء ، ومن ذلك :

أ. حدثته امرأة جزائرية أنها رأتَه يسأل عن الطريق الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم ، فدُلَّ عليه فسار على خطواته لا يخطئها ، فلم يحتمل كلامها ، وأجهش بالبكاء .
واستمع :

<http://www.alalbany.net/audio/alalbany011.zip>

ب. وفي آخر لقاء لي به رحمه الله ، حدثته عن رؤيا رآها بعض إخواننا ، وهي أنه رأى هذا الأخ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فسأله : إذا أشكل عليَّ شيء في الحديث من أسأل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سل محمد ناصر الدين الألباني . فما أن انتهيت من حديثي حتى بكى بكاءً عظيماً ، وهو يردد " اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون " .

ج. وحدثه بعض إخواننا عن سب والده للرب والدين - والعياذ بالله - فبكى الشيخ لما سمع من جرأة من ينتسب للدين على بعض هذه القبائح و العظائم في حق الله ، وحكم على والده بأنه مرتد كافر .

د. وبكى - رحمه الله - لما أثنى عليه بعض إخواننا اعترافاً بتقصيره وتواضعاً لربه تعالى .
واستمع :

<http://www.alalbany.net/audio/alalbany012.zip>

قسوة القلب وأسبابها

العين تتبع القلب ، فإذا رق القلب دمعت العين ، وإذا قسى

قحطت ، قال ابن القيم - رحمه الله - في كتاب " بدائع الفوائد " (3 / 743) - : " ومتى أقحطت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب ، وأبعد القلوب من الله : القلب القاسي " وكان كثير من السلف يحب أن يكون من البكائين ، ويفضلونه على بعض من الطاعات ، كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " لأن أدمع من خشية الله أحب إليّ من أن أتصدق بألف دينار " .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيد من القلب الذي لا يخشع فيقول " ... اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشيع ومن دعوة لا يستجاب لها " . رواه مسلم (2722) .

**ولقسوة القلوب أسبابها ، ولرقتها أسبابها - كذلك -
فمن أسباب قسوة القلوب :**

1. كثرة الكلام .

2. نقض العهد مع الله تعالى بفعل المعاصي وترك الواجبات .

3. كثرة الضحك .

" كثرة الضحك تميم القلب " رواه أحمد (8034) ، والترمذي (2305) ، وابن ماجه (4217) ، وصححه الشيخ الألباني في " الصحيحة " (506 و 927 و 2046) .

مرَّ الحسن البصري بشاب وهو مستغرق في ضحكه ، وهو جالس مع قوم في مجلس .

فقال له الحسن : يا فتى هل مررت بالصراط ؟!

قال : لا !

قال : فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلا النار ؟!

قال : لا !
قال : فما هذا الضحك ؟!
فما رؤي الفتى بعدها ضاحكاً .

وكان الحسن يقول : يحق لمن يعلم : أن الموت مورده ، وأن الساعة موعده ، والقيام بين يدي الله تعالى مشهده : يحق له أن يطول حزنه .

4. كثرة الأكل .

قال بشر بن الحارث : خصلتان تقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل .

5. كثرة الذنوب .

قال تعالى : { كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } [المطففين / 14] ، وقال صلى الله عليه وسلم : " إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه : { كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } [المطففين / 14] . رواه أحمد (7892) ، والترمذي (3334) ، وابن ماجه (4244) ، وحسنه الشيخ الألباني في " صحيح ابن ماجه " (3422) .

وقال بعض السلف : البدن إذا عُرِّي رِقَّ ، وكذلك القلب إذا قلت خطاياهُ أسرع دمعته .

عن عقبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله : ما النجاة ؟ ما النجاة ؟ قال : " أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك " أخرجه الترمذي (2406) ، وقال : حديث حسن ، وصححه الألباني في " صحيح الترغيب " (2741) .

6. صحبة السوء .

وقد شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بنافخ الكير- البخاري (1995) ، ومسلم (2628) - .
بل حتى كثرة المخالطة تقسّي القلب ، قال بعض السلف :
وقسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة : الأكل ،
والنوم ، والكلام ، والمخالطة .

وقد قيل " الصاحب صاحب " ، و " الطبع يسرق من الطبع " ،
فمن جالس أهل الغفلة والجرأة على المعاصي سرى إلى نفسه
هذا الداء : { وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ
مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ
أَصَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا
[الفرقان / 27 - 29] .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " المرء على دين خليله
فلينظر أحدكم من يخالل " رواه أحمد (8212) ، والترمذي (2378) ،
وأبو داود (4833) ، وحسنه الألباني في " السلسلة
الصحيحة " (927) .

قال ابن حبان - رحمه الله - :

العاقل لا يصاحب الأشرار لأن صحبة السوء قطعة من النار ،
تُعقب الضغائن ، لا يستقيم ودّه ، ولا يفى بعهدّه .

وقال ابن القيم :

ومتى رأيت نفسك تهرب من الأنس به إلى الأنس بالخلق ومن
الخلوة مع الله إلى الخلوة مع الأغيار فاعلم أنك لا تصلح له . "
بدائع الفوائد " (3 / 743) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - :

وبالجملة : فمصاحبة الأشرار مُضرة من جميع الوجوه على مَنْ صاحبهم وشرُّ على من خالطهم ، فكم هلك بسببهم أقوام ، وكم أقادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون " .

وقال أبو الأسود الدؤلي - رحمه الله - : " ما خلق الله خلقاً أضر من صاحب السوء " .

أسباب وطرق تليين القلوب والبكاء من خشية الله
ويستطيع المسلم أن يلين قلبه ويدمع عينه بما يسمع ويقراً ويرى ؛ وذلك - بعد توفيق الله تعالى - بالبحث عن الأسباب الموصلة لذلك ، وبقراءة سير السلف الصالح ومعرفة أحوالهم في هذا الأمر ، وسنذكر ما تيسر من الأمرين - الأسباب والأحوال - لعلَّ الله أن ينفع بها ، ومن ذلك :

1. معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله .
فمن عرف الله خافه ورجاه ، ومن خافه ورجاه رق قلبه ودمعت عينه ، ومن جهل ربه قسى قلبه وقحطت عينه .
ومقامات الإيمان : الحب ، والخوف ، والرجاء ، وكل أولئك تدعو المسلم للبكاء .

قال أبو سليمان الداراني - كما ذكر عنه ابن كثير في ترجمته في " البداية والنهاية " (10 / 256) : لكل شيء علم وعلم الخُذلان : ترك البكاء من خشية الله .
فإذا خذل الله العبد : سلبه هذه الخصلة المباركة ، وصار شقيّاً قاسي القلب وجامد العين .

فالمحب يبكي شوقاً لمحبوبه والخائف يبكي من فراقه وخشيت فراقه والراجي يبكي لحصول مطلوبه فإذا أحببت الله دعاك حبُّه للبكاء شوقاً له ، وإذا خفت منه دعاك خوفه للبكاء من

خشيتته وعقابه ، وإذا رجوته دعاك رجاءه للبكاء طمعاً في رضوانه وثوابه .

وإلى هذه الأمور الثلاثة - الحب ، والخوف ، والرجاء - أشار نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه " رواه البخاري (629) ، ومسلم (1031) .

ومعنى " ذكر الله " خائفاً أو محبباً أو راجياً ، فإذا اتصف المسلم بهذا فهو سعيد وإلا فهو مخذول .

2. قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته .

قال الله تعالى - في وصف عباده العلماء الصالحين - : { إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء : 107-109] .

قال الطبري عند الكلام على هذه الآية : يقول تعالى ذكره : ويخر هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين ، من قبل نزول الفرقان ، إذا يتلى عليه القرآن لأذقانهم يبكون ، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعاً ، يعني خضوعاً لأمر الله وطاعته استكانة له .
" تفسير الطبري " (15 / 181) .

وقال القرطبي : هذا مدح لهم ، وحق لكل من توسم بالعلم ، وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة ، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل .
" تفسير القرطبي " (10 / 341) .

{ من قبله } أي : من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبكون

عند سماع ما نزل عليهم .

وقيل : من قبل القرآن ، وهم اليهود والنصارى ، وهي بشرى للمتقين منهم أنهم يسلمون ، وهو الذي حصل كما في قوله تعالى : { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ } [المائدة : 83] .

والآيات الأول - في الإسرائاء - مكية ، ومما نزل في مكة : قوله تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا } [مريم / 58] .

وآية " الذاريات " : { هَذَا تَذِيْرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى . أَرْقَتِ الْأَرْقَةَ . لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ . أَقْمِنُ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ . فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا } [المذاريات / 56 - 62] .

وهذا لتربية الصحابة على رقة القلب وصدق الإيمان ، وأن الضحك الحق لا يكون إلا في الآخرة . { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ . وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ خَافِضِينَ . فَايَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . هَلْ تُؤْتَوْنَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . } [المطففين / 29 - 36] وهي سورة مكية .

وهذا هو حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع القرآن .

عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله

عليه وسلم : اقرأ عليّ القرآن , قال : قلت : يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إني أشتهي أن أسمع من غيري , قال : فقرأت النساء حتى إذا بلغت { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرأيت دموعه تسيل .
رواه البخاري (4306) ومسلم (800) .

وهذا هو حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن .

عن أبي صالح قال : لما قدم أهل اليمن في زمان أبي بكر فسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر : هكذا كنا ثم قست القلوب !!

وحال أبي بكر تصفه عائشة فتقول :
لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يوذنه بالصلاة فقال : مروا أبا بكر فليصل قلت : إن أبا بكر رجل أسيف - وفي رواية : لا يملك دمه ، وفي رواية : كان أبو بكر رجلاً بكاءً ؛ لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن - إن يغم مقامك يبكي فلا يقدر على القراءة ... البخاري (633) ، ومسلم (418) .

وعن عبد الله بن شداد أنه قال : سمعتُ نسيح عمر وأنا في آخر الصف وهو يقرأ سورة يوسف [يوسف / 86] .
رواه البخاري معلقاً ، انظر : " فتح الباري " لابن حجر (2 / 206) .
والنسيح : رفع الصوت بالبكاء .

وعن سالم بن عبد الله أن ابن عمر قرأ { وإن تبدوا ما في

أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله { الآية - [البقرة / 284] -
; فدمعت عيناه فبلغ صنيعة ابن عباس فقال : يرحم الله أبا عبد
الرحمن , لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين أنزلت , فنسختها الآية التي بعدها { لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت } - [البقرة / 286] - .

وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية : { أم
حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات { [الجاثية / 21] فجعل يرددّها إلى الصباح ويبكي .

وقرأ ابن عمر رضي الله عنهما : { وَيَلُ لِلْمُطَفِّينَ {
[سورة المطففين / 1] فلما بلغ : { يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ { [سورة المطففين / 6] بكى حتى خرّ وامتنع عن
قراءة ما بعده .

وقال مسروق رحمه الله : قرأت على عائشة هذه الآيات :
{ فَمَنْ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ { [الطور / 27]
فبكت ، وقالت : " ربّ منّ وقني عذاب السموم " .

وهكذا كان حال من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

قرأ رجلٌ عند عمر بن عبد العزيز - وهو أمير على المدينة -
قوله تعالى : { وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَائًا صَيِّقًا مُّقْرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ
ثُبُورًا { [الفرقان / 13] فبكى حتى غلبه البكاء ، وعلا نحيجه !
فقام من مجلسه ، فدخل بيته ، وتفرّق الناس .

كان محمد بن المنكدر من سادات القراء ، لا يتمالك البكاء
إذا قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودُكر عنه أنه
بينما هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى ، فكثرت بكأؤه حتى فزع
له أهله وسألوه ، فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء ، فأرسلوا
إلى أبي حازم فجاء إليه ، فقال : ما الذي أبكاك ؟ قال : مرت

بي آية ، قال : ما هي ؟ قال : { وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون } [الزمر / 47] فبكى أبو حازم معه فاشتد بكأؤهما

قال إبراهيم بن الأشعث : سمعت فضيلاً يقول ذات ليلة
وهو يقرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويبكي ويردد هذه
الآية : { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو
أخباركم } [محمد / 31] وجعل يقول : وتبلوا أخبارنا ، ويردد :
وتبلوا أخبارنا ، إن بلوت أخبارنا فضحّتنا ، وهتكت أستاذنا ، إن
بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ، ويبكي .

وسبق ذكر جملة من بكائهم - رحمهم الله - .
واستمع لبعض القراءات المؤثرة والتي بكى أصحابها فيها :

- الشيخ سعود الشريم يبكي بعد موت الشيخ عمر السبيل

[http://mypage.ayna.com/kayeralqassim/Shureem
1423.rm](http://mypage.ayna.com/kayeralqassim/Shureem1423.rm)

- وقراءة أخرى للشيخ حفظه الله - وأظنها بعد وفاة الشيخ جار
الله - :

<http://saaid.net/flash/fate7h.htm>

- وهذه قراءة للشيخ مشاري العفاسي :

<http://manzoma.siteatnet.com/foreign/manzoma/shoaraa.zip>

- وهذا مقطع للشيخ سعد الغامدي :

<http://www.muslim.net/muslim3/jeddah/saed/s3d.r>
m

- وهذا مقطع من سورة ق للشيخ خالد القحطاني :

<http://www.mndah.net/pic/kahtany.ram>

3. كثرة ذكر الله عز وجل .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سبعة
يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : ... - وذكر منهم : -

ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .
رواه البخاري (629) ومسلم (1031) .
والخلوة مدعاة إلى قسوة القلب ، والجرأة على المعصية ، فإذا
ما جاهد الإنسان نفسه فيها ، واستشعر عظمة الله فاضت عيناه
، فاستحق أن يكون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا
ظله .

قال ابن القيم :

إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى ، فينبغي للعبد
أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى وذكر حماد بن زيد عن
المعلّى بن زياد أن رجلا قال للحسن : يا أبا سعيد أشكو إليك
قسوة قلبي ، قال : أذبه بالذكر ؛ وهذا لأن القلب كلما اشتدت
به الغفلة اشتدت به القسوة فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك
القسوة كما يذوب الرصاص في النار ، فما أذيت قسوة القلوب
بمثل ذكر الله عز وجل .
" الوابل الصيّب " (ص 99) .

4. الإكثار من الطاعات .

قال أحمد بن سهل - رحمه الله - : " قال لي أبو معاوية
الأسود : يا أبا علي من أكثر لله الصدق تَدِيت عيناه ، وأجابته إذا
دعاهما " .

5. تذكر الموت ورؤية المحتضرين والأموات .

عن جابر رضي الله عنه قال : أخذ النبي صلى الله عليه
وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فانطلق به إلى ابنه إبراهيم
فوجده يجود بنفسه فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه
في حجره فبكى ، فقال له عبد الرحمن : أتبكي ؟ أولم تكن
نهيت عن البكاء ؟ قال : لا ، ولكن نهيت عن صوتين أحققين
فاجرين : صوت عند مصيبة - خمش وجوه وشق جيوب - ، ورنه

شيطان .
رواه الترمذي (1005) ، وقال : هذا حديث حسن ، وحسنه
الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (2157) .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ابنه إبراهيم ،
حينما رآه يجود بنفسه ، فجعلت عيناه تذرفان الدموع ثم قال :
" إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ،
وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون " رواه البخاري (1241)
ومسلم (2315) .

وعن عبد الله بن عمر قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له
فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن
عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه
وجده في غاشية فقال قد قضى ؟ قالوا لا يا رسول الله فبكى
النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى القوم بكاء النبي صلى الله
عليه وسلم بكوا فقال ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمع العين
ولا يحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم .
البخاري (1242) ومسلم (924) .

وعن صفية أن امرأة أتت عائشة تشكو إليها القسوة فقالت :
" أكثرني ذكر الموت يرق قلبك وتقدرين على حاجتك " قالت :
ففعلت ، فوجدت أن قلبها رق ، فجاءت تشكر لعائشة رضي
الله عنها .

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : أضحكني ثلاث و أبكاني
ثلاث :

أضحكني : مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه
، وضاحك بملء فيه لا يدري أَرْضَى اللهُ أم أسخطه .
و أبكاني : فراق أحب الأجابة محمد صلى الله عليه وسلم

وصحبه ، وهؤل المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السريرة علانية فلا يدري أإلى الجنة أم إلى النار .
وكان سعيد بن جبير يقول : " لو فارق ذكر الموت قلوبنا ساعة لفسدت قلوبنا " .

- وهذا مقطع صوتي للشيخ خالد الراشد من محاضرة عن الموت بعنوان "مفرق الجماعات " :

<http://box.emanway.com/droos/mkate3/run/mofrqaljma3at.ram>

6. أكل الحلال .

سئل بعض الصالحين : بم تلين القلوب ؟ قال : بأكل الحلال .

7. الابتعاد عن المعاصي .

قال مكحول رحمه الله : " أرقُّ الناس قلوباً أقلهم ذنباً " .

8. سماع المواعظ .

وقد انتشر في كثير من البلدان أشرطة لمشايخ ثقات يحسنون التأثير على قلوب الناس ، وقد كانت الخطبة المؤثرة والموعظة البليغة مما يوجل قلوب الصحابة ويذرف دمع عيونهم .

عن العرياض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ " .

رواه الترمذي (2676) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود (4607) وابن ماجه (42) ، وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (2735) .

9. تذكر القيامة وقلة الزاد والخوف من الله .

بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : " أما إني لا أبكي علي دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بُعد سفري ، وقلة زادي ، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي " .

روي أنه لما حضرت **محمد بن سيرين** الوفاة ، بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أبكي لتفريطي في الأيام الخالية و قلة عملي للجنة العالية و ما ينجيني من النار الحامية .

سئل عطاء السلمي : ما هذا الحزن ؟ قال : ويحك ، الموت في عنقي ، والقبر بيتي ، وفي القيامة موقفي ، وعلى جسر جهنم طريقي لا أدري ما يُصنع بي .

وكان فضالة بن صيفي كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته ما شأنه ؟ قالت : زعم أنه يريد سفراً بعيداً وماله زاد .

لما احتضر **هشام بن عبد الملك** نظر إلى أهله يبكون حوله فقال : جاء هشام إليكم بالدنيا وجئتم له بالبكاء ، ترك لكم ما جمع و تركتم له ما حمل ، ما أعظم مصيبة هشام إن لم يرحمه الله .

قال ابن القيم : اعرف قدر ما ضاع ، وابك بكاء من يدري مقدار الفائت .

وقال الألبيري - رحمه الله - :

ولا تضحك مع السفهاء يوماً
ومَن لك بالسرور وأنت رهينٌ؟
ولو بكت الدُّما عيناك خوفاً!
ومَن لك بالأمان وأنت عبدٌ

فإِنَّكَ سوف تبكي إن ضحكنا!
وما تدري أئُقدى؟ أم غُللتنا؟!
لذنبك لم أقل لك قد أمئتنا!
أمِرتَ فما ائتمرتَ ولا أطعنا!

10. البكاء عند زيارة القبور .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها ؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً " .
رواه أحمد (13075) وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع " (4584) .

وروى مسلم في صحيحه (976) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى ، وأبكى من حوله " .

وعن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال : كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبلى لحيته ! ف قيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا ؟! فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه ، فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه ؛ فما بعده أشد منه " قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما رأيت منظرًا قط إلا القبر أفضع منه " .
رواه الترمذي (2308) وابن ماجه (4267) ، والحديث حسنه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب " (3550) .

- وهذا مقطع من محاضرة للشيخ خالد الراشد بعنوان " أين دارك غداً ؟ " وهي عن القبر :

11. التفكير عند رؤية ما يُعتبر كرؤية النار في الدنيا .
عن مغيرة بن سعد بن الأخرم قال : ما خرج عبد الله بن مسعود إلى السوق فمر على الحدادين فرأى ما يخرجون من النار إلا جعلت عيناه تسيلان .
فإن المسلم أعرف أهل الأرض بربه تعالى ، فالواجب عليه أن يكون حاله لا كحال الآخرين ، فهو يعتبر ويتعظ بما يقرؤه ويسمعه من الآيات والمواعظ ، والقلب الخائف يثمر عينا دامعة رجاء بلوغ رحمة الله تعالى ودخول الجنة ، تحقيقاً لوعده الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله " رواه الترمذي (1639) من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

12. الدعاء .

وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من القلب الذي لا يخشع ، وقد سبق ذكر اتصال العين بالقلب .
عن زيد بن أرقم قال لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم أت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها . رواه مسلم (2722) .
ومن أراد أن تدمع عينه فله أن يدعو الله بذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال : صوتاً حسناً ، ودمعاً غزيراً ، وطعاماً من غير تكلف ، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية دهره ، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه .
" مجموع الفتاوى " (11 / 282) .

- وهذا مقطع من دعاء الشيخ ناصر القطامي :
<http://www.alasra.org/files/gnot.rm>

13. التباكي .

عن ابن أبي مليكة قال : جلسنا إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الحجر فقال : ابكوا ، فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا ، لو تعلموا العلم لصلى أحدكم حتى ينكسر ظهره ، ولبكى حتى ينقطع صوته . رواه الحاكم في " المستدرک " (4 / 622) ، وصحه الألباني موقوفاً في " صحيح الترغيب " (3328) .

وعن التباكي **قال ابن القيم** - بعد ذكره أنواع البكاء - :
وما كان منه مستدعياً متكلفاً فهو التباكي وهو نوعان : محمود ومذموم
فالمحمود : أن يُستحلب لرقة القلب ولخشية الله ، لا للرياء والسمعة ،
والمذموم : يُجتلب لأجل الخلق .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر :
أخبرني ما يبكيك يا رسول الله ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما (أخرجه مسلم في صحيحه (1763))
ضمن حديث مطول في الجهاد) .

ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال بعض السلف :
ابكوا من خشية الله فإن لم تبكوا فتباكوا .
" زاد المعاد " (1 / 185 ، 186) .

**ونسأل الله تعالى أن يجعل قلوبنا وجلة ، وأعيننا دامعة
من خشيته .**

**جمعه وأعدّه :
أبو طارق
إحسان بن محمد بن عايش العتيبي
28 رجب 1424 هـ**